مفهوم المنهج

في اللغة : جاء في لسان العرب المنهج أو المنهاج هو الطريق الواضح ، والمنهج هو الطريق المستقيم إذ يقول ابن منظور صاحب كتاب لسان العرب هو طريق بيّن واضح وهو النهج أو المنهج ، وأنهج الطريق وضح واستبان . وصار نهجاً واضحاً بيّناً .

وفي الاصطلاح : تعددت تعريفات المنهج ولعل أكثر التعريفات شمولاً وبساطة هو الذي يرى ان المنهج: طريقة يصل بها انسان إلى حقيقة .

ولابد من أن يكون الإنسان قد اكتشف المنهج مبكراً بحكم ما له من ذكاء وما يجتاز من صعاب وما يحمله على الوصول إلى نتائج ويعينه على ادخار خبراته واستغلال هذه الخبرات فيما يجد عليه من مواقف ولكن هذا المنهج كان ساذجاً وفردياً ، ثم تقدم كلما تراكمت التجارب واتسع الاجتماع ... أن المنهج يوفر عليه كثيراً من الجهد والعناء ، ويسهل مهمته في العيش .

ويسير الزمن ويتقدم الفكر الانساني ويكثر الفلاسفة والعلماء فيزداد الامر وضوحاً ورسوخاً ، وتتضح من المنهج أنواع بمقتضى العلم الذي يقصد اليه . ويعد القرن السابع عشر من العصور المهمة في تاريخ الكلمة ويكفي أن نذكر علمين كبيرين هما الفيلسوف الانكليزي بيكون والفيلسوف الفرنسي ديكارت وينصبان على طريقين في العلم الصرف (الاستدلالي في الرياضيات) و(التجريبي في الطبيعيات) ، ويقرر التأريخ انّ هذا المنهج الذي وضعه بيكون هو الذي قدمته الحضارة الاسلامية ونقله عنها بيكون .

ولم تقف المسألة عند الفلسفة والعلوم الصرف ؛ فبمرور الزمن يقترب التأريخ من العلم ويبتعد عن الادب وهو يبتغي بلوغ حقيقة من الحقائق واذا كان قد اطلق على منهج العلوم الرياضية: الاستدلالي وعلى منهج العلوم الطبيعية : التجريبي ، فقد رؤي ان يطلق على منهج الدراسات التأريخية : الاسترادي ، وعرف بأنه (الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار، أياً كان نوع هذه الآثار بهدف الوصول الى الحقائق التي تساعد في فهم الماضي والحاضر فضلاً عن المستقبل) .

واذا استطاع المؤرخ ان يحقق هذا النصر المؤزر بدأ الباحث يتأثر بما تأثر به وينحو نحوه ... وان النصر الذي أحرزه العلم الصرف لابد من أن يدخل الى نفوس أهل الادب ... أجل وكان ان قيل إن البحث في الادب علم ايضاً ، له ما له ، وكما كان في العلم نظرية تطور يمكن أن تكون في الأدبي أيضاً ، ان للباحث الادبي اشياء من طريقة العلم وأشياء من صفاته ، ولم لا ؟ ان عليه ان يجمع ويستقصي وينقد ويبوب ليصل الى الحقيقة المبتغاة .

اننا لكي ندرس أدباً أو عصراً أو اديباً ، لا ندرس النص مجرداً وانما ندرس معه ما يحيط به من مظاهر الحياة العامة والخاصة : وندرس هذا كما يدرس التأريخ ، وقد اصبح التأريخ نوعاً خاصاً من العلم ، فيجب أن تصبح الدراسة الادبية كذلك . وهكذا سارت علمية الدراسة الادبية وسادت ووجد (تاريخ الادب) وصار درساً معترفاً به في الجامعات له اساتذته ، وله كتبه ، وتوجيهات مقررة في منهج البحث الادبي لم تلبث ان كانت رسائل ... ودروساً خاصة .

وستضل مناهج البحث المختلفة في نمو وازدهار ، وسيضل منهج البحث الادبي كذلك .

البحث والبحوث

طلب الحقيقة وتقصيها واذاعتها في الناس ، والبحث الادبي : طلب الحقيقة الأدبية في مصادرها ، واذاعتها .

وفي كلمة الحقيقة ما يبين المعنى الانساني للبحث ، ويدخل في هذا المعنى الشمول فيما يتصل بالفكر البشري وعاطفته وخياله ... دون ان يمنع هذا الشمول في القصد أن يرى باحث بارع عناصر الإنسانية بمعناها الواسع خلال موضوع محلي يبدو ضيقاً جداً .

ومنهج البحث الأدبي : الطريقة التي يسير عليها دارس ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب أو تاريخ قضاياه منذ العزم على الدراسة وتحديد الموضوع ... حتى تقديمه ثمرة عمله الى المشرفين أو الناقدين والقراء مقالاً او رسالة او كتاباً ...

وهو يفيد كثيراً من المناهج الأخرى في خطوطها العامة ، خصوصاً من منهج التاريخ . ولكنه يتميز بأنه يتعامل مع مادة فنية ونص انشائي على الباحث فيه ان يغور الى اعماقه ويقرأ ما وراء حروفه فيصل خياله بخيال صاحبه وعاطفته بعاطفته متخذاً من المادة التاريخية عوناً ومساعداً على بلوغ هذه الغاية ، مؤيداً اياها بعوامل مساعدة أخرى من فنون المعرفة من لغات وجغرافية وفلسفة ... وعلوم صرف .

ودرس منهج البحث : يوجه الطلبة في عملهم ويبين لهم صميم رسالتهم ويزودهم الضروري مما يلزمهم في كل خطوة يخطونها منذ البداية حتى النهاية .

ودواعي هذا الدرس : أن منهج البحث مظهر حضاري تشتد الحاجة اليه بعد الحاجة إلى الدرس والتأليف وما يصحب ذلك من تراكم الخبرات وتضخم المادة ، وما يتصل بهما - عادة - من اضطراب و فوضى ، أو تعصب وجهل وجور يضيع في مجاهلها القارىء وتضيع الحقيقة فتختلط الأمور على الجيل الناشىء ويصعب عليه أن يتبين دربه ويخشى عليه ان يأخذ الباطل مأخذ الحق ، ويسلك إلى هدفه مسالك لا توصله في يسر ، او لا توصله أبداً ، فيزيد على ضلال الأسلاف ضلال الاعقاب وينقص من محاسن الماضي ما يحتاج اليه المستقبل .

اذا وقع ذلك - وهو واقع - انبرى الغيارى يوجهون ويرسمون طريقاً يبين صواب المصيبين ويفضح خطأ المخطئين ، ويسهلون أمر البحث على الناشئة والطلبة مستفيدين مما حققته البشرية في تاريخها العلمي .

وكان طبيعياً أن يرتبط : منهج البحث ، بالجامعات ارتباطاً وثيقاً ، لانها موئل الحقيقة - او ما يفترض فيه أن يكون كذلك - ولانها تتعامل مع طبقة لها من السن العقلية ما يؤهلها للبحث و لفهم مناحي البحث .

واذا وجب على الطلبة أن يبحثوا احياناً - كما يبحث الاستاذ - وجب الأخذ بايديهم وتيسير مهمتهم . ولا أجدى في المساعدة من تدريسهم - بوجه أو آخر - هذه الطريقة وتزويدهم خلال هذا الدرس المهم من الخبرات - أو القواعد التي يحتويها هذا الباب .

س/ كيف نعرف قيمة هذا الدرس

ج/ نقابل

ولنا أن نقابل - لكي ندرك قيمة هذا الدرس - بين بحث جامعي و بحث غير جامعي ، وبين بحث الجامعي ملم بالقواعد والأصول ، منبه عليها وبحث لجامعي نفسه قبل أن يعي هذه القواعد والأصول سنجد أن الفرق كبير ، ونرى بذلك دليلاً على ضرورة الدرس .

والخلاصة في فوائد الدرس انه :

1. يعلم الطلبة كيف يبدأون ... وكيف ينتهون .
2. يوفر عليهم الوقت ... والجهد .
3. يجنبهم الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه السابقون .
4. يحفظهم من الضياع والسام والشعور بالعجز .
5. يعينهم على أن يستغلوا الفائض من حالات الضياع وما اليها في التجويد والانصراف إلى صميم الموضوع والى كشف ما يستطيعون كشفه ضمن نطاقهم .
6. يحبب البحث ويهييء لهم الاستمتاع بثمرة عملهم .
7. يعدهم لبحث أوسع ... وتأليف أخطر في مدى انساني أبعد ...أصيل .
8. يدلهم على أنفسهم ، ويحدد لهم موقفهم من هذا الميدان .
9. يكتشف المتفوق ويرعاه .
10. يوجد للطالب المتفوق الذي يضيق ذرعاً بالمعلومات التي يقدمها الأساتذة للمستوى الوسط متنفساً ويحبب اليه عمله .

ولابد من معرفة القدر المناسب ، فالبحث - مثل أي ميدان آخر - واسع ومتنوع ومعقد ، بمعنى أن فيه تعميماً وتخصصاً .

أما التعميم فيقصد به القدر العام الذي يحسن أن يعرفه اي طالب ليقوم بما يطلب منه على وجه مقبول ؛ فلا يعذر طالب على الجهل بما اصبح قاعدة في البحث ، ولا يحسن أن يترك طالب دون ان يزود هذه الأمور التي باتت أصولاً ... وليقدم - بعد ذلك - بحثه في حدود طاقته، وليقف من دراسته الجامعية ومن سيره التأليفي حيث تقف به هذه الطاقة ... انك ازاء طالب محدود النطاق في هذا الميدان ، فاكتف منه بالممكن ، ولا تلح عليه ، واتركه يتفوق في ميدان غيره - خارج الجامعة أن اقتضى الأمر .

أما التخصيص فيقصد به ما توجه به إلى الخاصة من الطلبة ، إلى البارزين الذين يدلون على ميل خاص في البحث ويبدون تفوقاً ملحوظاً ويشيرون إلى نبوغ منتظر .

تشبث بهؤلاء ، وشجعهم ، وزودهم الكثير مما كسبته وما يمكن ان يفيدهم نظرياً وعملياً ؛ فمن هؤلاء سيولد المؤلف الخطير والاستاذ القدير .